كلية الآداب والعلوم
College of Arts and Scienices
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر

أنساق

ANSAQ

مجلة دولية علمية محكمة - يصدرها قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم - جامعة قطر

International Scientific Journal issued by The Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences - Qatar University

ON LINE-ISSN: **2520-7148** PRINT-ISSN: **2520-713X**

المجلد 1 العدد 1 مايو 2017

كلية الآداب والعلوم
College of Arts and Sciences
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر

أنساق

ANSAQ

مجلة علمية دولية محكمة

تصدر عن قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر

المجلد الأول

العدد الأول - مايو 2017م

المجلد الأول، العدد الأول
مايو 2017م
لوحة غلاف العدد للفنان : علي حسن
شعار اسم أنساق بخط : إبراهيم أبو طوق

للمراسلات

قطر – الدوحة، ص ب 2713 جامعة قطر كلية الآداب والعلوم – قسم اللغة العربية – مجلة أنساق
المراسلات باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني للمجلة : ansaq@qu.edu.qa

الموقع الإلكتروني للمجلة : www.qu.edu.qa/ansaq

الترقيم الدولي الإلكتروني : Online-ISSN:2520-7148

الرقم الدولي : Print-ISSN:2520-713X

هاتف رقم : 974-4403-6441 + 974-4403-4823 +

فاكس رقم : 974-4403-4501 +

رقم الإيداع : 445/2016

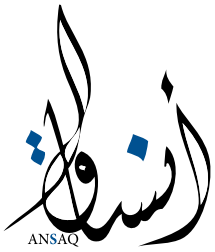

مجلة علمية دولية محكمة
تصدر عن قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر

❁ الإشراف العام ❁
الدكتور راشد أحمد الكواري
عميد كلية الآداب والعلوم

❁ المدير العام ❁
الدكتورة مريم النعيمي
رئيس قسم اللغة العربية

❁ رئيس التحرير ❁
أ.د. عبد القادر فيدوح

❁ مدير التحرير ❁
د. أحمد حاجي صفر

❁ الهيئة الاستشارية ❁
حمد بن عبد العزيز الكوّاري (قطر)
سعيد يقطين (المغرب)
شكري المبخوت (تونس)
عبد العزيز عبد الله تركي السبيعي (قطر)
عبد الله العشي (الجزائر)
عقيل مرعي (إيطاليا)
علي الكبيسي (قطر)
فاضل عبود التميمي (العراق)
مصطفى قرقز (تركيا)
معجب العدواني (السعودية)
هادي حسن حمودي (بريطانيا)
Eric Gautier (France)
Luc Deheuvels (France)

❁ الهيئة العلمية ❁
حافظ إسماعيلي علوي
حبيب بوهرور
رشيد بوزيان
عبد السلام حامد
مبارك حنون
محمد لطفي اليوسفي
محمود الجاسم
مراد مبروك

❁ هيئة التحرير ❁
امتنان الصمادي
رامي أبو شهاب
رضوان المنيسي
عبد الله الهيتاري
عماد عبد اللطيف
عمرو محمد فرج مدكور
محروس بريك
محمد مصطفى سليم
هيا محمد الدرهم
علي فتح الله
لولوة حسن العبد الله

قواعد النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث العلمية الرصينة باللغة العربية في حقل الآداب والعلوم الإنسانية.
2. تخضع البحوث المنشورة للتحكيم على نحو سري.
3. يجب ألّا يقل عدد كلمات البحث عن 4000 كلمة، ولا يزيد عن 8000 كلمة.
4. ترسل البحوث باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني للمجلة.
5. أن تتضمن الصفحة الأولى من البحث:
   - عنوان البحث باللغة العربية،
   - اسم الباحث باللغة بالعربية،
   - اسم الجامعة،
   - البريد الإلكتروني،
   - ملخص البحث باللغة العربية (فقرة لا تقل عن عشرة أسطر، ولا تزيد على عشرين سطرا).
   - الكلمات المفاتيح (لا تزيد عن سبع كلمات)
6. أن تتضمن الصفحة الثانية من البحث:
   - عنوان البحث باللغة الإنجليزية،
   - اسم الباحث بالحرف اللاتيني،
   - اسم الجامعة بالحرف اللاتيني،
   - البريد الإلكتروني،
   - ملخص البحث باللغة الإنجليزية (في فقرة لا تقل عن عشرة أسطر، ولا تزيد على عشرين سطرا).
   - الكلمات المفاتيح باللغة الإنجليزية (لا تزيد عن سبع كلمات)
7. توضع الهوامش في أسفل كل صفحة، وتكون مربوطة بشكل آلي بالمتن. كما يبدأ ترقيم الهوامش عند بداية كل صفحة جديدة.
8. إذا تكرر ذكر المرجع في الصفحة نفسها، يشار إليها بـ "المرجع نفسه".
9. توثق الإحالات على النحو الآتي: يذكر اسم المؤلف العائلي فالشخصي، ثم عنوان الكتاب أو المقال، ورقم الصفحة. (على أن يوثق المرجع بشكل كامل في لائحة المصادر والمراجع ويكون ذلك على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، الجزء/ أو العدد، الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع).
10. أي بحث لا تتوفر فيه الشروط الشكلية المذكورة يستبعد تلقائيا دون النظر في محتواه.

فهرس أنساق

استهلال أنساق

كلمة الدكتور عبد العزيز عبد الله تركي السبيعي .

متون أنساق

المقاربة الإدراكية للرمزية الصوتية: شعرية الاشتقاق في تجربة الشاعر أمل دنقل — محي الدين محسب 15

الانبعاث في شعر خليل حاوي: (قراءة في ديوانيه الأوّلين: «نهر الرماد» و«الناي والريح») — إحسان بن صادق اللواتي 33

سيميائية الشخصية في رواية «مملكة الفراشة» لواسيني الأعرج — مفرح بن شعبان عسيري 53

الصّمت في الحوار «رواية موسم الهجرة إلى الشّمال» للطّيب صالح نموذجا — زهير القاسمي 75

الذاكرة والإبداع في مجموعتيْ «سيرة نعل» و«من أحاديث القرى» عبد الله محمد الناصر — محمد عدناني 93

قراءات أنساق

الحجاج في خطاب جرير الشّاكي — رضى عبد الله عليبي 117

بنية الحجاج وآليات بيانها في سورة «النبأ» (دراسة تطبيقية) — أمير فاضل سعد العبدلي 133

سمات التلاقي والتنافي بين الأسلوبية والبلاغ — طاطة بن قرماز 151

مَوتٌ مُختَلَفٌ: روايةُ الوريثِ الإشكالي مَنْ أنا؟ وكيف للذات أن تستردّ ذاتَها؟ — حسن المودن 171

دلالات

الوظيفية وهندسة الأنحاء ..... أحمد المتوكل 187

منظورات نقديّة للاشتراك الدّلاليّ ونظريّاته (راستيه- ستيفنس- ريمر) ..... صابر الحباشة 207

الحراك المصطلحي البلاغيّ إلى حدود القرن الخامس للهجرة ..... جمعة صبيحة 229

أَثَرُ الفَرّاء في تأسيس البِناء البلاغيّ العربيّ ..... سُلَيمَان حُسَين العُمَيْرات 247

ترجمات

اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات ..... حافظ إسماعيلي علوي 269

الدراسة الإدراكية للفن واللغة والأدب ..... إبراهيم عامر 291

الحجاج في خطاب جرير الشّاكي

د. رضى عبد الله عليبي
جامعة منوبة، تونس

ridhalibi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 13/ 02/ 2017م

تاريخ القـــبول: 20/ 03/ 2017م

الملخّص:

تسعى هذه الدّراسة إلى استنطاق نصوص جرير الشّعريّة استنطاقا دقيقا لرصد آثار الخطاب الحجاجي في غرض من أغراض الشّعر العريقة وهو المدح وتحديدا في سياق الشّكوى. فكان توجّهنا في البحث النّظر في بُنـى تلك النّصوص توسّلا بالدّرس الأسلوبي حينا، والبنيويّ حينا آخر، وبالموضوعاتي أحيانا. فوقفنا عند ذات محاورة للآخر، شاكية سوء حالها المالي، ساعية بطرائق شتّى إلى استمالة الممدوح وجدانيا، وإقناعه عقليّا بوضع مُربك يستدعي التّعجيل في العلاج. فكان الحجاج الضّمنيّ تارة، والصّريح تارة أخرى. ومن البلاغة استرفد جرير أدواته للوصف والتّصوير. وتخيّر من الصّيغ التّعبيريّة ما به يعزّز استراتيجيّته القوليّة، فكان الشّرط والأمر من الأدوات ذات الكثافة في نصوص جرير أدارهما بحرفيّة في مدحاته دونما إخلال بالهيكل العام للقصيدة ودلالتها، فانتقل من قسم في القصيدة إلى آخر بل ومن غرض في الشّعر إلى آخر داخل القصيدة الواحدة محافظا في كلّ ذلك على تناسق أجزاء القصيدة ذات غرض المدح الجامع. فوقفنا عند شعر محكم السّبك بنية ودلالة أظهر اقتدارا ذاتيّا على النّظم لا مثيل له.

الكلمات المفاتيح:

الحجاج الضّمني – الحجاج الصّريح – التّأثير – الإقناع – الشّكوي – بلاغة الإقناع – الصّيغ التّعبيريّة.

Argumentation in the rhetoric of Jarir, the complainer

Ridha Abdallah Alibi
Manouba University. Tunisia
ridhalibi@gmail.com

Abstract:

This study aims at digging deep in the poetry of Jarir to scrutinize the traces of argumentative rhetoric in eulogizing and , notably, in lamenting.

The study is essentially meant to peruse the structural aspects of his poetry, focusing on the styles , the structures and the themes he used .

In Jarir's verse , we came across a persona addressing others, complaining about its penury in an attempt to stir the compassion of a flattered addressee , emotionally and persuading him rationally to consider uncertain conditions .Hence, Jarir had recourse to implicit argumentations at times and explicit ones at other times. Thus, from rhetoric, Jarir made use of various devices to describe and portray.

Apart from that, Jarir selected the right stylistic devices to bolster his speech strategies .In his magnificent verse, Jarir made an abundant use of the imperative and the conditional modes. He did exploit them skillfully without affecting the overall format of his eulogy poems and their corresponding meanings. Jarir switched from one part of his poems to another ,and from one message to another ,preserving the harmony of the parts of his poems that deal with eulogy.

We managed to touch the well knit fabric of Jarir's verse at the levels of structure and meaning and his ability to compose poetry.

Keywords:

Implicit argumentation- explicit argumentation- influence- persuade- lament- eloquence- stylistic devices.

مقدمة البحث

شغل شعر جرير المهتمين بالأدب سواء من نقّاد القرن الأوّل أو غيرهم من القرون اللاّحقة. وما كان لهذا الاهتمام أن يتأتّى لولا المقدرة الشّعرية التي أظهرها الشّاعر، فقد عدّه ابن سلام الجمحي من أشهر شعراء الطبقة الأولى من الإسلاميين[1]. ووصفه أبو مالك بن الأخطل في سياق مقارنة بين شعره وشعر الفرزدق بأنّه (أي جرير) يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر، وأنّ الذي يغرف من بحر أشهرهما[2]. بل إنّ أبا عمرو بن العلاء كان يشبّهه بالأعشى[3] لمتانة شعره صورة ومعنى.

ولا شكّ في أنّ تبوّأ جرير لهذه المنزلة بين الشعراء المجايلين له يعود إلى أخذه بأسباب الإبداع الشعري، فقد أظهر اقتدارا على التّنقّل من سياق إلى آخر بحرفيّة قلّما تتوفّر لدى شاعر آخر. بل إنّ مقدرته تتجلّى بوضوح في إقحامه لسياقات مختلفة في القصيدة الواحدة، ضاربا بذلك مقولة « استقلالية » الأغراض، محطّما الحدود الفاصلة بين فخر أو هجاء أو مدح أو رثاء. فأبدع في هذا وذاك، حتّى أنّ أعرابيا من بني أسد في خبر له سُئل عن أشعرهم. فقال : « بيوت الشّعر أربعة: فخر ومديح وهجاء ونسيب وفي كلّها غلب جرير »[4].

ولئن حُبِّرت في شعر جرير عديد الدراسات، فإنّنا واجدون في هذا الشّعر بعض الجوانب الطّريفة التي نعتقد أنّها ما زالت في حاجة إلى الدّرس وإنعام النّظر وتتعلق خاصّة بالبحث في جانب من شعر الشّكوى في سياق المدح، وتدقيقا الكشف عن تجليّات الحجاج في شعره الشّاكي لزعمنا أنّ الشّكوى في شعر جرير أضحت محرّك الخطاب الحجاجي؛ إذ نهضت بوظائف تَتَرى سيظهرها البحث لاحقا. فما عادت الشكوى مجرّد إطار يظهر رغبة الشّاعر في تحصيل منفعة - وإن كانت هي الأساس في سياق المدح - وإنّما باتت وسيلة إلى غاية أدرجها جرير في سياق أعمّ موصول بخطة خطاب حجاجي.

وإنّ هذا الفنّ القولي - الحجاج في سياق الشّكوى - ظلّ في اعتقادنا قليل الاحتفاء به في شعر الشّاعر رغم تجلّياته الكميّة والنّوعية .

ونشير بداية إلى أنّ الخطاب الشّاكي الموصول بالمدح في عمومه لا يختصّ بشعر جرير دون سواه، وإنّما هو ضارب بجذوره في شعر شعراء الجاهلية وبخاصة ما تعلّق منه بقضية التّموّل أو التّكسّب الملتحف بلحاف سياسي[5].

ولئن تَيسّر للباحث الوقوف عند تجليات الحجاج في شعر شعراء تلك الحقبة سواء في شعر يزيد بن خذاق الشّني أو جابر بن حنّي التّغلبي، فإنّ قلّة منجزهم الشّعري حالت دون تكوين رؤية كليّة ذات تصوّر واضح لتجليّات الحجاج لديهم. ونُدرة المادة الشّعرية في الحقبة الجاهلية تصبح غير ذات بال عند النظر في ديوان جرير؛ إذ أصبحت تجليات الحجاج من الوضوح بمكان في شعره المدحي خاصة.

(1) انظر: أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ص161.
(2) انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ص117.
(3) انظر الأصفهاني، الأغاني، ص230.
(4) المرجع نفسه، 8/231.
(5) انظر: رضى عبد الله عليبي، الغربة والحنين في الشعر العربي إلى نهاية القرن الأوّل الهجري، ص51 وما بعدها.

وإذا ما كانت الشكوى تقتضي عادة أطرافا محقّقة لقصديّة قول صاحبها: من شاكٍ وهو ذات الشّاعر بالأساس في الخطاب الحجاجي الصّريح، أو الزّوجة وغيرهما كما سنرى في الحجاج الضّمني، والمشكُوّ منه وهو على التّخصيص شكوى الحال لدفع ضرر أو تحصيل منفعة، والمشكوّ إليه وهو صاحب السلطة غالبا سواء كان خليفة أو أميرا أو واليا، فإنّ قُدْرة الشاعر تظهر في دمجه لتلك الأطراف استجابة لمرماه كما سنرى.

وللإحاطة بالموضوع رأينا ضرورة الإتيان على المراحل التالية:

1- منزلة الحجاج في الخطاب الشّاكي في المدوّنة النّقدية القديمة:

لقد أشار النّقد العربي القديم إشارة لطيفة تدعم مقولة دور الحجاج في بناء القصيدة ذاتها بوصفه طرفا في خطّة خطاب الشاعر الشاكي. وتتعلّق ههنا بالوظيفة النّفسيّة الانفعالية الجارية في قسم من أقسام القصيدة.

حدّد ابن قتيبة أقساما ثابتة في بناء القصيدة بذكر الدّيار والدّمن تبدأ، فالبكاء والشكوى ومخاطبة الرّبع، ثم وصل ذلك بالنّسيب... ورأى أنّ الشاعر « إذا علم أنّه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقّب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره و شكا النّصب والسّهر .. وحرّ الهجير وأنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنّه (قد) أوجب على صاحبه حقّ الرّجاء وذمامة التأميل وقرّر عنده ما ناله من المكاره في المسير بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزّ السّماح »[1].

إنّ إشارة ابن قتيبة الختامية تتضّمن إحالات نراها على صلة وثيقة بما نزمع إثباته من تجليّات للحجاج في الخطاب الشاكي. وبناء على ذلك، فإنّ دورنا سيرتكز بالأساس على كشف مهمّة الشاعر المحاجّ التي تتجاوز مجرّد الأداء والتّبليغ إلى البحث عن جوانب في الممدوح تهيّئ له سبل الإقناع أو التأثير أو غيرهما من الوظائف الأخرى.

2- في حدّ الحجاج:

إنّ ذكرنا للوظيفتين المنوطتين بالحجاج سابقا يلزمنا ضرورة البحث عن تعريف دقيق وموجز له من بين العديد من التّعريفات في هذا الشّأن حتّى لا نحيد عن الإطار الذي نباشر فيه بحثنا. وفي هذا السّياق يرى بيرلمان (Perelman) أنّ الحجاج « يعني آلات الخطاب التي يعتمدها الفرد أو المجموعة لحمل المخاطب على تبنّي وجهة نظر ما والتّسليم بها ثمّ العمل على تحقيقها»[2]، وإنّ بلوغ الشّاعر مقصده هو غاية الغايات بما أنّه حمَل الممدوح على تحقيق رغبة دفينة لأجلها سلك مسالك وعرة تصل حدّ «المخاتلة»، فجعل الكلام ذا فتنة والبيان سحرا، وحقّق بذلك قصده الأساسي.

(1) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص20 – 21.

(2) انظر:
Perelman (ch), Article Argumentation, p638

لقد رمنا بهذا التّعريف على إيجازه التّمهيد للنّظر في شعر الشّاعر بغية رصد المسالك التي اتّبعها جرير في خطابه الحجاجي في مستوى خططه ووظائفه. ولقد رأينا بعد تدبّر صعوبة الفصل بين الأمرين - الاستراتيجيّات والوظائف - نظرا إلى تداخل المكين بينهما في إنتاج ضروب الدّلالة. لذلك فضّلنا عدم الفصل بينهما. فكان الاشتغال على الزّوجين معا عن وعي منّا.

3- الحجاج: استراتيجيّاته ووظائفه

رأينا بالعودة إلى الدّيوان أنّ الشاعر اتّبع خطّة قامت على التّنويع في هيئة إخراج المعنى والتفنّن فيه، فعمد إلى تفريع المعنى الجامع (Thème Majeur) للشّكوى إلى معان صغرى (Thèmes Mineurs) وجعل الخطاب الحجاجي متأرجحا بين التصّريح والإضمار للمعاني الشّاكية، وأدار تلك الثنائيّة على معنى جامع للقول ويتعلّق أساسا بسياق المدح.

والذي بدا لنا أنّ المقام وهو سياق المدح ههنا حدّد وظيفة الحجاج الرئيسية، إذ انحسرت في اعتقادنا في مجال التّأثير المحقّق للدّفع نحو فعل من المشتكى إليه. وهذه الاستراتيجية القوليّة ولئن كانت سمتها الأساسيّة الوضوح، فإنّنا نزعم أنّ الشّاعر كان على وعي بذلك سواء من هذه الناحية بصورة خاصة، أو بالمسارب التي انتهجها وبوسائطه اللّغوية التي اعتمدها بصورة عامّة، لأنّها من «شأنها إذا ما أدرجت باعتدال في الخطاب أن تحرّك المعنيين بالكلام صوب الفعل والتّغيير بما ينسجم مع المقام وتتطلّبه مقاصد النص وطموحات الخطيب»[1].

ولقد بدا قول جرير في هذا السّياق دائرا على أصل واحد، فرغم تعدّد السُّبل لبلوغ من مدحهم، فإنّ المقصد ظلّ آخذا لمنجزه الشعري، وظلّت آلية الحجاج التّصريحية المهيمنة على خطابه الشاكي.

ولقد توسّل الشّاعر بطريقتين اثنتين لإظهار نبرة التّشكي. وظّف في الأولى أفعالا لغويّة مبنيّة على الأمر أسلوبا بارزا كما في قوله مادحا عبد الملك بن مروان [الوافر]

أَغِثْنِي يَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي
بِسَيْبٍ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَاحِ[2]

أو قوله مادحا عبد العزيز [الكامل]

فَانْفَحْ لَنَا بِسِجَالِ فَضْلٍ مِنْكُمُ
وَاسْمَعْ ثَنَائِي فِي تَلاَقِي الأَرْكُبِ[3]

تبدو الشكوى جليّة في بيتي جرير فيما يسميّه ابن المعتزّ بطلب «الاستمناح» إذ عمد إلى التّصريح بالمقصد من المدح بتوظيف فعلي **أغثني وانفح** الدّالين دلالة واضحة على ذلك. فلفظتا **سَيْب وسجال** يشكلان مادة أساسية لمعجم الطّلب في سياق المدح عموما.

(1) انظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوّره في البلاغة المعاصرة، ص67.
(2) انظر شرح ديوان جرير، ص73.
(3) المصدر نفسه، ب 12، ص33. وانظر المعنى نفسه في مدح عبد العزيز الديوان، ب11، ص344 [البسيط]
أَنْهَضْ جَنَاحِي فِي رِيشِي فَقَدْ رَجَعَتْ ... رِيشَ الجَنَاحَيْنِ مِنْ آبَائِكَ النّعَمُ

إنّ الشّاعر في المثالين اتّبع إستراتيجية في مسلكه التّصريحي لمعنى الطلب بُني أساسا على إدراج طلبه في مواضع دقيقة من المدحة. فعمد في مدحه عبد الملك بن مروان إلى سَبْق أبيات الشكوى على المدح. وغير خفي ههنا ما للتّقديم من وظائف منها إبراز للطلب وإظهاره أوّلا، وتأكيده ثانيا في ذهن متقبّله ووجدانه بالإلحاح عليه، إضافة إلى ما للتّقديم والتأخير في اللّغة من وظائف ينعقد عليها الكلام يكفي أن نشير إلى أنّ أبرزها يتمثّل في إخراج اللّغة من حالة الجمود إلى الحركة. فكأنّ القصيدة خرجت من سياقها المدحي وهو الأصل إلى سياق آخر عماده الشّكوى الموجبة لتحقيق الطّلب. وعلى هذا الأساس نزعم أنّ الشاعر عقد صلة بين ما اصطلح عليه أرسطو بالانفعالات والغاية التي تجري إليها الخطابة[1]، وتلك في اعتقادنا طريقة من طرائق الحجاج تُعين الشّاعر على استمالة قلوب ممدوحيه مادام الحجاج خطابا عاطفيّا من الطّراز الأوّل.

وكذا شأن المدحة في عبد العزيز والمتكوّنة من ستّة عشر بيتا. فقد جعل جرير « بيت الطلب » إن جاز القول وسطا لأبيات المدح، ليجعل بذلك طلب العطاء القطب الذي ينعقد عليه القول الشعري. وقد يعنّ له أحيانا أن يستهلّ القصيدة بالتّصريح بالطّلب كما رأينا في مدحة عبد العزيز السابقة. إذ أقامها على بناء رباعي، بالشّكوى تنفتح، وإلى المدح ينتقل. وبمعاودة شكواه الخليفة ينبّهنا، وبالمدح ختم القصيدة.

إنّ السّمة البارزة في القسم الأوّل من أسلوب الحجاج الصّريح هي استرفاد الشّاعر لأدواته الحجاجية ممّا يسميّه أحمد الخصخوصي بـ»مجال المعاناة الأليمة [2]، فعمد جرير إلى التّكثيف من المعجم الدّال على عدم استواء الوضع وقلّة اعتدال الحال. وحرص الشاعر على دعم استراتيجيّته الحجاجية في القسم الثاني، وذلك بالتّصريح بشكوى الحال من خلال إقحام الفعل أشكو في صيغة الإفراد حينا، وفي صيغة الجمع نشكو حينا آخر، ليغدو التّلويح بالمعنى الطّلبي جليّا بعد ذلك. ومن الأمثلة على ذلك قوله مادحا الحجّاج [الوافر]

أَلَا نَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانَ مَحْلٍ
وَشُرْبَ المَاءِ فِي زَمَنِ الجَلِيدِ
وَمَعْتَبَةَ العِيَالِ وَهُمْ سِغَابٌ
عَلَى دَرِّ المُجَالِحَةِ الرَّفُودِ
زَمَانًا يَتْرُكُ الفَتَيَاتِ سُودًا
وَقَدْ كَانَ المَحَاجِرُ غَيْرَ سُودِ[3]

أو قوله مادحا الوالي عبد العزيز [الوافر]

إِلَى عَبْدِ العَزِيزِ شَكَوْتُ جَهْدًا
مِنَ البَيْضَاءِ أَوْ زَمَنِ القَتَادِ[4]

إنّ الأبيات المُصدّرة بفعل « شكا » باتت من حيث تركيبة بنيتها إلى الرّسالة أشبه. وهي رسالة طرفاها شاعر شاكٍ، وممدوح مشكوّ

(1) للتوسّع في أطروحة أرسطو راجع حاتم عبيد، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 4، ص65.

(2) انظر أحمد الخصخوصي، الراعي النميري شاكيا محاجا، ص45.

(3) شرح ديوان جرير، ب 16 – 17 – 18، ص87.

(4) المصدر نفسه، ب 6، ص84.

إليه، ورسالة مضمونها شكوى زمان مَحْل وعيال سغاب، وغيرها من الآليات الهادفة إلى تحريك وجدان الممدوح قصد معالجة وضع مُربك للعاطفة، مغيّبا لسلطة العقل عند محاولة تغيير ما هو كائن لحال صاحبها.

ونعتقد أنّ توسّل جرير بهذه التّقنيات كانت عن وعي منه باتّباعه خطّة خطاب وظيفتها الرئيسيّة هزّ جوانح المحجوج وتهيئته التّهيئة النّفسية المناسبة حتّى يتفاعل مع وضعه المالي والنّفسي.

إنّ الشّاعر ومن خلال الشّعر الذي صدّره بفعل شكا استرفد معنى من المعاني الشّائعة في الشّعر في عمومه، ويتعلق ههنا بشكوى الزّمان، ولا يخفى ما للحديث عن الزّمان وسلطته من وقْع في ذهن متقبّله ما دام الشاعر ومن يمدحهم يشتركون في الإحساس نفسه به.

أمّا الشّكوى الخفيّة فقوامها معنى ضمنّي منشئ لخطاب شاك يقف الدّارس على تنويع للطرائق المحيلة عليه. ولقد بدت لنا على محاور أربعة تدور؛ إذ يتعلّق المحور الأوّل بإقحام الشّكوى المتضمّنة لمعنى الطلب في مواضع محدّدة من المدحة. وكنّا قد أشرنا سابقا إلى ذلك بالقول بأنّ الشّاعر متمكّن من آلياته، واع بالمسلك الذي ينتهجه لبلوغ مقصده.

ولئن مكّنت الإستراتيجية التّصريحية الشّاعر من إيضاح مقاصده لمن مدحهم، فإنّ توسّله في هذا القسم من الشّكوى بالخطاب الضّمني من شأنه أن يمنح المعنى التّعدد ويجعله « يبلّغ مخاطبه أكثر ممّا يقوله »[1].

إنّ هذه الخطّة في نثّ أبيات الشّكوى داخل القصيدة مقصودة دون شكّ، فتارة يجعل جرير الشّكوى في صميم الأبيات المدحية كما في قوله مادحا سليمان [البسيط]

وَتَدْعُوكَ الأَرَامِلُ وَاليَتَامَى
وَمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ بِهِ حَوِيلُ
وَتَشْكُو المَاشِيَاتُ إِلَيْكَ جَهْدًا
وَلاَ صَعْبٌ لَهُنَّ وَلاَ ذَلُولُ[2]

وتارة أخرى يجعل أبيات الشكوى آخر ما يقرع أذن الممدوح كما هو الشّأن في مدحه عبد العزيز [الوافر]

فَزَحْلِفْهَا بِأَزْلُفِهَا إِلَيْهِ
أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِذَا تَشَاءُ
فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ مَدُّوا إِلَيْهِ
أَكُفَّهُمُ وَقَدْ بَرِحَ الخَفَاءُ[3]

وطورا يجعل أبيات الشّكوى وسطا بين قسمين من المدح كما هي الحال في مدحة عبد الملك بن مروان؛ إذ جعل أبيات المدح في القصيدة تربو على أربعة عشر بيتا، ثم خلص إلى اعتصامه به ودالّته عليه في قوله [الكامل]

وَإِذَا ذَكَرْتُكُمُ شَدَدْتُمْ قُوَّتِي
وَإِذَا نَزَلْتُ بِغَيْثِكُمْ كَانَ الحَيَا[4]

ليعود من جديد إلى المدح وذلك بدعوة

(1) John Searle, Sens et expression, p7

(2) شرح ديوان جرير ب 16 – 17، ص289.
(3) المصدر نفسه، ب 13 – 14، ص27. وزحلف الشيء دفعه ودحرجه.
(4) المصدر نفسه، ب 22، ص24.

النّـاس إلى انتجـاع ديـاره. وتعـدّ دعوته تلك ضربا مـن الإشهار -بلغة العـصر- والمخاتلة اللّطيفة للتّأثير في الممدوح.

وقد بـدا الشّاعر في الأمثلة المذكورة مكثّفا للأصوات الشّاكية في نصّه أو ما يسميّه عبد الله صولة «الحجاج بالسّلطـة»[1]، والسّلطة ههنا يجسّدهـا اسم العلم بوصفـه سمة من سمات الخطـاب الحجاجـي ذي الوظيفـة التّأثيريّة. فتـارة هي الأرامل، وتارة أخرى هي الماشيات، وطورا هم النّاس مطلقا. وهذا الأسلوب النّازع نحو تعميـم الشّكوى ودفع الـذّات إلى التّخفي وراء هموم الجماعة يُكسب العملية الحجاجية طرافتهـا ونجاعتهـا في ذات الحـين، ذلـك أنّ «الحجّـة حتّـى تكـون ناجعة لابـدّ أن تكون محكمة التّنظيـم»[2] حسب بيرلمان. والتنظيم ههنا يظهر في تركيـز الشّاعر على الجزئيات الجَالبَة لانتباه الممدوح.

ولا شكّ في أنّ إيراد الشاعر لأبيات الشّكوى في أواخـر القصائـد وإحلالها محـلّ الخواتم يتنّـزل في صميم الخطـاب الحجاجي باعتبار أنّهـا آخر ما يقرع السّمع ويحرّك الوجدان لأنّ «خاتمة الكلام أبقى في السّمع وألصق بالنّفس لقرب العهد بها، فإنْ حسنت حسن، وإنْ قبحت قبح والأعمال بخواتمها»[3].

أمّـا الضّرب الثاني مـن الشّكوى الضمنيّة فيـدرك عنـد حديـث الشّاعـر عـن الرّحلـة ومشاقّها، وراحلته وما قاسته من أهوال. ولقد اتّبـع جرير المسلك نفسه بإخضاع هذا المعنى لنظـام متـين يظهـر في إحلاله لـه في أقسام مختلفة مـن المدحة. وقد تبيّن لنـا من دراسة مختلف المدحـات، أنّ الشّاعر راوح في إدراجه للطّلـب الضّمني بين فـواتح القصائد كما هو الأمر في مدحه عبد العزيز [الطويل]

إِلَيْـكَ كَلِفْـنَا كُلَّ يَـوْمٍ هَجِـيرَةٍ
صَـدٍ مَعْ مَعَـانيٍّ تَلَظَّـى أعَـابِلُهْ
عَلَى العِيسِ تَعْـرَوْرِي الفَـلاَةَ كَأَنَّهَا
قَطَا الأَدْمَى الجُونيِّ نَشَّتْ ثَمَائِلُهْ[4]

وبيّن خواتيمها كما هو الشّأن في مدحه عبد الملك بن مروان [الكامل]

سِـرْنَا إِلَـيْكَ مِنَ المَـلاَ عِـيدِيَّـةً
يَخْبِطْنَ فِي سُرُحِ النِّعَالِ عَلَى الوَجَى
تَدْمَـى مَنَاسِمُـهَا وَهُـنَّ نَوَاصِـلٌ
مِنْ كُـلِّ نَاجِيَةٍ وَنِقْـضٍ مُرْتَضَى[5]

إنّ تلويح الشّاعـر بطلب العطاء يُفهم لمحا لحظـة إلمامـه بالرّحلـة وصفا من بُعْـد مكان فـاصل بين سكنه وسكـن الممدوح، ومن وصف راحلتـه مُنهكـة لسعيهـا نحو بلـوغ الممدوح في أجال قريبة. ولقد ارتكز جرير في إنتاج معانيه

(1) انظر، عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص154.
(2) Perelma (chaim) Enyclopeadia Universalis, p937.
(3) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص388.

(4) شرح ديوان جرير، ب 2-1 ص291. وانظر المصدر نفسه، ب 3، ص288 [البسيط]
قَطَعْـنَ إِلَيْكُـمْ مُتَشَـنِّعَات مَهَامِـهَ مَا يُعَـدُّ لَهُـنَّ مِـيلُ
(5) المصدر نفسه، ب 30 – 31، ص25. وانظر قوله في مدح الخليفة عبد العزيز، المصدر نفسه، ب 23-11، ص 84 [البسيط]
دَعَـوْتُكَ وَاليَمَامَـةُ دُونَ أَهْلِـي وَلَـوْلاَ البُعْـدُ أَسْمَعَكَ المُنَادِي
يُصَادِينَ الهَـوَاجِرَ حِينَ تَحْمِي وَحِـرْبَاءُ الفَـلاَةِ أَحَمُّ صَـادِ

ههنا على التّشبيه أسلوبا، فأحاط براحلته وصفا في سرعتها وإنهاكها، وعلى التّقديم (تقديم المتمّم: إليك)، والتأخير (تأخير النّواة) إجلالا للممدوح وإعلاء لمنزلته.

إنّ هذه المداخل جعلت خطاب جرير أقرب إلى «الحيلة الحجاجية»[1] بعبارة عبد الله صولة. ويُعدّ تحقيق الإثارة الوجدانية الأولى منذ فواتح القصائد أو خواتيمها فيما ذكرنا من أمثلة المقصد الأساسي لدى جرير.

لقد نهض الوصف ههنا بوظيفة حجاجية تأثيرية وإقناعية في ذات الحين[2] كما أشار إلى ذلك فيليب هامون (Philippe Hamon)، وكلّ من جان ميشال آدم (J.M.Adam) وأندري بوتي جان (A.Petit.Jean)[3]. ولقد أكّدنا في بداية البحث أنّ المقام هو المحدّد للمسلك الحجاجي، وهو «القمين برفع اللبس وتوجيه دلالة المقال» بعبارة ريتشارد[4]، لذلك تستدعي الشكوى تلوين الخطاب مراعاة لحال المتلقّي، وهو ما جعلها مؤثرة حينا، مدرارة لعطف الممدوح حينا آخر، جالبة الشفقة لصاحبه أحيانا، موجبة كرم عطاء يعادل مغامرة الشاعر وراحلته وما تجشّماه من مصاعب جمّة.

ويظهر وعي جرير بالمسلك الحجاجي الذي ينتهجه كذلك في إقحامه لمعطى ثالث من شأنه أن يزيد خطابه الشّاكي طاقة وجدانية تأثيرية وهو الزوجة معينة اسما تارة، وهو الصّاحبة مطلقا الشاكية فقرها، الحاضّة ضمنا الشاعر على طلب الاستمناح تارة أخرى كما يظهر في قوله [الوافر]

تَعَـزَّتْ أُمُّ حَـزْرَةَ ثُمَّ قَـالَتْ
رَأَيْتُ الـوَارِدِينَ ذِوي امْتِيَـاحِ
تُعَـلِّلُ وَهْـيَ سَاغِـبَةٌ بَنِيهَـا
بِأَنْفَـاسٍ مِنَ الشِّبِمِ القَرَاحِ[5]

ونشير إلى أنّ القول ههنا سابق لقسم المدح. وإذا ما استهل الشاعر خطابه المدحي في المثال المذكور بشكوى الزوجة، فإنّه عمد في أمثلة أخرى إلى الإحاطة بذاته وصفا متوسّلا أسلوب المقارنة بين ما كان عليه ماضيا وما آل إليه حاضرا في سياق حواري مع صاحبته [الكامل]

قَـالَـتْ بَلِـيتَ فَمَـا نَرَاكَ كَعَهْـدِنَـا
لَـيْتَ العُهُـودَ تَجَـدَّدَتْ بَعْـدَ البِلَى
أَأُمَـامُ غَـيَّرَنِي وأَنْـتِ غَـرِيرَةٌ
حَاجَـاتُ ذِي أَرَبٍ هَمٌّ كَالجَـوَى
وَرَأَتْ أُمَـامَـةُ فِي العِـظَـامِ تَحَـنِّيًا
بَعْدَ اسْتِقَامَتِهَا وَقَصْرًا فِي الخُطَا[6]

لقد شحن جرير خطابه الشاكي بطاقة تعبيريّة متنوّعة ارتكزت على ثنائيّة الاستخبار أوّلا من خلال الحيرة لتبدّل حاله، ولا يخفى أنّ الحَيرة ههنا تُوجب على الممدوح كرما يعدلها

(1) انظر عبدالله صولة، في نظرية الحجاج، ص154.
(2) Philippe Hamon, Du descriptif, p51.
(3) J.M.Adam, A .petit Jean, Le texte descriptif, p1177
(4) انظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص32.
(5) شرح ديوان جرير، ب 8 – 9، ص72.
(6) المصدر نفسه، ب 2- 3- 4، ص23.

جـزاء لدفعها عن النّفـس، والإخبار ثانيا عن حقيقة المآل. ونزعـم أنّ الشّاعر كان حريصا علـى انتقاء ألفاظه الدّائـرة على المعجم ذاته وهـو معجـم لا نـشكّ في أنّـه أحـدث الرّجـة المرتقبة في نفس متقبّله لما تضمّنه من إحالات مباشرة علـى شكوى الحال. ويَعْمد جرير تارة أخـرى إلى إحـداث مقابلـة ضمنيّة من خلال ربط السبـب بالنتيجة. فالبلى والحاجات كانا سببا في تحنّي العظام وقصر الخطو.

إنّ الشّكوى الضّمنيّة تعدّ من أنجع الوسائل المؤثّرة في الممدوح لسببين: يتعلّق الأوّل بإدراج معاني الشكوى في فاتحة المدحة لتحدث الرّجة النفسيّـة المأمولة. بينما يتعلّـق الثاني بنزوعه إلى تصوير ذاته عاجزة وقد أتى الزّمان عليها. فظهر في صورة المُتهالك إلى حدّ المأساويّة.

وعلـى هـذا الأساس أضحـت الشّكـوى في أمثلة الشّاعر قطب رحى القول بل أمّ القضايا أقامهـا علـى ثنائيّتـي الظاهـر والباطن، وفي ذلك اعتراف بكفـاءة جرير المُحاجّ، فهو يدير مقصده التأثيري أو الإقناعي على تلك الثنائية ما أكسب نـصّه طرافـة شكلا ومضمونا، لأنّ النّـص كمـا رآه أبـو حامد الغـزالي ضربان: ضرب هو نصّ بلفظـه ومنظومه.. وضرب هو نص بفحواه ومفهومه [1].

ولم يكـن المحـور الرّابـع مـن العمليـة الحجاجيّـة أقـلّ سبـكا في آلياتـه. فلئن اتّخذ الشّاعر في المحـاور السّابقة صورا عديدة بَنَى بعضها على التّصريح بالشكوى، والبعض الآخر على الإضمـار أو التّخفـي وراء أصوات أخرى كالزوجة أو الصّاحبة أو حتّى الحيوان الشّاكي هـو الآخر سوء الحال، فإنّ جرير يظهر لنا في محوره الرّابع في هيئـة المادح وقد أحكم بسط السيطـرة على ممدوحيه. وغير خفّي أنّ المدح في وجـه مـن وجوهه خطـاب مزدوج يتـأسّس هو الآخر على ثنائيـة الظّاهر والباطن[2] من القـول، فتتجـاوز وظيفة الحجـاج التّأثير إلى التّبكيـت أو الإقنـاع باعتبـاره «محاولة واعية للتأثـير في السّلوك»[3] بعبـارة توماس شايدل (Thomas scheidel).

واللاّفـت للنّظر أنّ المدح في شعر جرير ورد متلبّسا بالشّكوى. ولقد رأينا سابقا كيف أقحم أبيـات الشّكـوى في ثنايـا أبيات المـدح بحرفيّة كبيرة حتّى لا يصرف الممدوح عن لذّة الانتشاء بالمعـاني المدحيّـة المنسوجة في شخـصه. ولقد أدار جريـر مدحاته على محوريـن، محور أوّل سار فيه على السّمت باستدعاء جملة من القيم المحسوسة حينا، والمجـرّدة حينا آخر على نحو ما قاله في مدح عبدالملك بن مروان [الكامل]

إنَّ الرُّصَـافَـةَ مَـنْزِلٌ لِخَلِيفَـةٍ
جَمَعَ المَكَارِمَ وَالعَزَائِمَ وَالتُّقَى[4]

(1) أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ص20.

(2) قد يقتصر الشّاعر في بعض المدحات على مدح سيّده دون إظهار الجانب القصدي من ذلك، وهذا الضرب من المدح ينعت بمدح الشّكر على فعل سابق، أو هو مدح أقرب إلى إظهار «الولاء» من الشاعر إلى ممدوحه تقرّبا لا غير. غير أنّ المسكوت عنه في الخطاب المدحي قد يشي بعكس ذلك، إذ يحدث المادح إرباكا لدى متقبّله وإحراجا له لمّا يعمد إلى تضخيم صورته من خلال تكثيف وسائله اللغوية المسنودة بحجج توجب على الممدوح القيام بفعل هو وليد واجب الاعتقاد بما أنشده الشاعر.

(3) انظر مقال محمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، ص6.

(4) شرح ديوان جرير، ب 9، ص23.

أو قوله في مدح عبد العزيز [الوافر]

فَمَـاذَا تَنْظُـرُونَ بِهَا وَفِيكُمْ
جَسُورٌ بِالعَظَائِمِ وَاعْتِلاَءُ[1]

بينما عَمَـد في المحور الثّـاني إلى ملامسة مكامـن وجـدان الممدوحـين، فجعـل معـاني مدحاته إظهـارا لما يرتضيـه الممدوح وتطرب نفسه لِمَـا تَسمـع. فـكأنّ بجريـر ههنـا خبير بالنّفـس الإنسانيـة. وعلى هـذا الأساس جعل الشاعـر خطابـه الحجاجـي ثمـرة لمقدرتـه التّواصليـة مـع ممدوحيـه، لأنّ الخطـاب الحجاجـي ههنا «ممـارسة ناتجة عـن تفعيل الكفاءة الحجاجيّة ذاتها»[2].

ولقد أنشأ جرير معانيه المدحيّة على معجم دينـي بـالأساس، فأحلّ عبد الملـك بن مروان منزلة يوسف في قوله [البسيط]

كُونُوا كَيُوسُـفَ لَمَّا جَـاءَ إِخْـوَتُهُ
وَاسْتَعْرَفُوا قَالَ مَا فِي اليَوْمِ تَثْرِيبُ[3]

وشبّـه الحجـاج بهـود النبـي في دعوتـه لقومه [الوافر]

دَعَا أَهْـلَ العِـرَاقِ دُعَاءَ هُـودٍ
وَقَدْ ضَلُّوا ضَلاَلَةَ قَوْمِ هُودِ[4]

بـل إنّ الشاعـر خلـع على ممدوحـه صفة مـن الصّفات المقدّسة، عندما نزّل بلده منزلة البلد المبارك في قوله [الكامل]

سِـيرُوا إِلَى البَلَـدِ المُبَارَكِ فَانْزِلُـوا
وَخُذُوا مَنَازِلَكُمْ مِنَ الغَيْثِ الحَيَا[5]

ولقـد كثّف جريـر إلى جانب هـذا المعجم الأدوات اللّغويـة، فوظّف التّأكيـد والشّرط في قوله [الكامل]

لَوْلاَ ابْنُ عَائِشَـةَ المُبَارَكُ سَـيْبُهُ
أَبْكَى بَنِيَّ وَأُمَّهُمْ طُولُ الطَّوَى[6]

وغـير خفي ما للـشّرط من وظيفـة ينعقد عليها الطلب وهي بتعبير بيرلمان وتيتكا «الحجة التداوليـة»[7]، وهي حجّة لهـا قوّتها التّأثيرية في محتـوى الشّكوى عموما. والناظر في المعنى الذي أخرجـه الشاعر في بيته يلاحظ جريانه على ثنائية السّبـب والنّتيجة، فقد ربط جرير استواء حال أسرته بسَيْب ابن عائشة، وهو من المعـاني الأثيرة الملازمة للمـدح، والمحبّبة إلى نفس الممدوحين.

يبدو ممّا تقـدّم أنّ جريرا أحـسن اختيار المعطيات أو المقدّمـات الأساسية حتّى يكسبها بعـدا حجاجيا، بـل لم يقتصر جهـد الشاعر علـى بلوغ ذاك المقصد، وإنّمـا عمد إلى إيقاع الاختيار بينها (المعطيات والمقدمات). وحرص على جعلها ذات فاعلية حجاجية قصوى، ومردّ الأمر إلى أنّ جريرا لم يكن في قصائده متوجّها إلى ممدوحـين من عامّة الناس أو ممّن يمكن تنزيلهـم منزلة من درجة ثانيـة، وإنّما نوعيّة الممدوحـين ههنا فرضت عليـه انتقاء عناصر

(1) المصدر نفسه، ب 8، ص26.
(2) انظر مقال عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ص76.
(3) المرجع نفسه، ب26، ص41.
(4) المرجع نفسه، ب6، ص86.
(5) المرجع نفسه، ب27، ص25.
(6) المرجع نفسه، ب8، ص23.
(7) Perelman – Tytéca, Traité de l'argumentation, p357.

المحاجّـة. ولقد بدت لنا تلك العناصر متقاربة حينا، متباعـدة حينا آخـر لارتباطها بنوعين مـن الممدوحـين، يتربّع النّـوع الأوّل على أعلى هـرم السّلطـة في الخلافة الممثّلـة في الخليفة عبـد الملك بن مـروان ومن بعـده تنازليّا عبد العزيـز بوصفه أمير من أمـراء الدّولة وصولا إلى الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي.

ولا يخفى أنّ أهمّ وسيلة تحضر أثناء انتقاء عنـاصر المحاجّة مـا يسميّها عبـد الله صولة «وسيلـة الحضور» La présence، و«يتمثل ذلك في استحضار العنصر المنتمي للمحاجة وجعله ماثـلا بين أعـين المخاطبـين وفي أعينهم»[1]. وهـذه الوسيلـة -أي وسيلة الإحـضار- عامل أساسي مـن عوامـل الحجـاج طالمـا أهملـه المنظـور العقـلاني في الاستـدلال. وإنّ لهـذه الوسيلة (الحـضور) أهميّـة حجاجية لكونها تؤثّر في وجدان متقبّلها تأثيرا مباشرا.

وإذا تأملنـا في الأساليـب التـي اعتمدها جريـر في خطابه الشّاكي نلاحظ سِمَة التّنويع الظاهرة في أبياته، فلم يكتف الشاعر بطريقة واحـدة. وإنّمـا أخـضع اختياراتـه لطريقـة العـرض La présentation لإحـكام ضبـط عنـاصر المحاجـة، فـكان المنطلـق في العملية الحجاجيـة الـذات ومـا كان في فلكهـا يـدور كمـا رأينا. فهي الزّوجـة والصّاحبة والحيوان كذلـك. ولقـد كانـت الشّكوى الإطـار الجامع بين هذه العنـاصر في كلّ. ويعدّ هـذا الدّوران في فلك الذّات خطّـة خطاب سعى من خلالها جريـر إلى إكـساب ملفوظه النّجاعـة الكافية للتّأثير في من مدحهم. وعلى هذا الأساس بدا لنا خطاب الشّاعر رهن للممدوح في حدّ ذاته. فلقد أشرنا إلى أنّ الممدوحين درجات. وأوجبت هذه الهرميّة علـى الشّاعر ربط مقاله بالمقام ضرورة لأنّـه مـن خاصيّة الحجـاج النّاجع أن يكون المقال مطابقا للمقال، بل إنّ الشّاعر كان علـى وعـي في تقديرنا بضرورة انتقـاء اللّفظ مـن ممدوح إلى آخر، لأنّ لحسن انتقاء اللفظ قيمة حجاجية في حدّ ذاته.

والذي بدا لنـا كذلك أنّ جرير حرص على الإكثار من اللّفـظ الحسّي المجسّد «لأنّ اللّفظ المجسّد يزيد في درجة الحـضور»[2]. ونقصد باللّفظ الحـسّي ما خلعه الشّاعـر من صفات تظهـر الجهـة الشّاكيـة النّقـص في كلّ. ومن هـذه النّاحيـة لم يترك جريـر أمـرا إلاّ وأتى عليـه ذكرا في هيئة نازعة إلى ملامسة مكامن وجـدان الممـدوح. فـصوّر العيـال السّغـاب، والأرامـل واليتامـى الطّالبين يَـد العون لجور الزّمان. بل جعل الشّاعـر للمواشي صوتا يَعْلو إلى جانب بقيّة الأصوات في دعوتها أولي الأمر إلى التّدخل قصد إصلاح ما أفسده الدّهر.

وتظهر مقدرة جرير كذلك في حسن ضبطه الصّيغ التّعبيريّـة Modalité d'expression أو ما يُسمّى بالجهات التّعبيرية التي تنهض بدور حجاجي أثناء عرض المعطيات. وأشرنا سابقا إلى أنّ الشّاعـر كان حريـصا علـى التّنويع في

(1) انظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص31.

(2) انظر: المرجع نفسه، ص36.

صيغه، فكان التّوجيه الإلزامي حينا [1] من خلال صيغة الأمر [2]، وكان الشّرط حينا آخر [3]، ولعلّ اختيار الشّاعر للنّعوت أو الصّفات Le choix des qualifications أن ينهض بدور تنشيطي للعمليّة الحجاجيّة، لأنّه من خاصيّة النّعوت عموما ملامستها ما تهواه نفس الممدوح، وهي ههنا من قبيل وصفه بصفات تحيل على القوّة مثل وصف عبد العزيز بالجسور [4] إضافة إلى الخلال الحربية التي تعدّ من رواسم المدح الكلاسيكية [5].

إنّ إكثار الشّاعر من النّعوت يعدّ مقوّما من مقوّمات الحجاج باعتبار أنّ النّعوت تحيل على مبدأ من مبادئ التّصنيف Classification. وقد لاحظنا ذلك خاصّة في الصّفات الموصولة بما هو معنوي، إذ اطّردت بشكل لافت وخضعت لمبدأ التّراتبيّة المُشار إليها سابقا من ممدوح إلى آخر بحسب منزلته السّياسيّة في الدّولة. ولقد استتبع القول في التّصنيف تلوين الخطاب في الشّكوى على أساس الدّرجة السّياسيّة لكلّ ممدوح. لقد لاحظنا تفاوتا في لهجات الخطاب من الخليفة إلى الأمير إلى الوالي، من عبد الملك بن مروان إلى عبد العزيز إلى الحجّاج. فمن باب التّعظيم حرص جرير أثناء مدحه الخليفة على الإكثار من الصّفات والجمل الاسميّة الوصفيّة [6]. بينما لاحظنا في مدحه عبد العزيز والحجّاج انحرافا عمّا مُدِح به الممدوح الأوّل؛ إذ كثّف من الأفعال الواردة في صيغة الأمر [7]. أو لم نقل سابقا إنّ السّياق مؤثّر في المقال من ممدوح إلى آخر؟ ألا يدلّ هذا الإجراء من النّاحية العمليّة على خبرة الشّاعر بالنّفس البشريّة؟ ثمّ ألا يفترض الخطاب الشّاكي من الشّاعر ارتياد مسالك في القول عديدة بغية مخاتلة الممدوح وإحراجه أوّلا، واستدراجه ثانيا للإيقاع به في شرك الخطاب الحجاجي حتى يكون العطاء وفيرا. ونزعم من هذه الناحية أنّ جريرا نجح في الإيقاع بممدوحيه وحقّق الغنم الذي لأجله خرج شاكيا مادحا.

خاتمة البحث

يبدو ممّا تقدّم أنّ الخطاب الشّاكي في سياق المدح خطاب حجاجي من الطّراز الأوّل كان فيه الشّاعر المنّسق في إيراد طائفة من المعاني الدائرة على الطّلب سواء كان على التّصريح أو الإضمار. وانتهينا إلى أنّ الحجاج كيّف الخطاب الشّاكي تكييفا لا لَبس فيه؛ إذ شهدت القصيدة لدى جرير ضربا من التّوزيع جديدا في مستوى أقسامها، فتارة بالشّكوى تبدأ، وتارة بها تختم، وتارة أخرى تُقحم أبيات الشّكوى في متن المدح، بل يجعلها في وسطه، فأنّى قلّبت المدحة وأنّى نظرت

(1) انظر: المرجع نفسه، ص38.
(2) انظر: قول جرير، الديوان، ب13، ص27.
(3) انظر: قول جرير، المصدر نفسه، ب8، ص23.
(4) انظر: المصدر نفسه، ب8، ص26.
(5) انظر على سبيل الذكر قوله مادحا يزيد بصفات حربية، الديوان، ب39، ص167.
(6) انظر: المصدر نفسه، ب 19 إلى ب 32 من البائية، ص41.
(7) انظر: على سبيل الذكر قوله في مدح عبد العزيز، الديوان، ب13، ص27. فقد استهلّ أبيات المدح بالفعل زحلفها. وانظر قوله في مدح الحجاج، الديوان، ب21، ص 233، إذ ختم المدحة ببيت في الطلب بدأه بالفعل رشني (الكامل)
رِشْنِي فَقَدْ دَخَلَتْ عَلَيَّ خَصَاصَةٌ مِمَّا جَمَعْتُ وكُلُّ خَيْرٍ تَجْمَعُ

في فاتحتها أو منتهاها تستوقفك شكوى الشّاعر. فلا مهرب للممدوح في اعتقادنا من طلب الشّاعر سواء ما صرّح به أو ما أخفاه. بل إنّ مقدرة جرير الحجاجيّة تظهر في قدرته على مخاتلة الممدوح من خلال ملامسة وجدانه ليعقد صلة مع خطاب وجداني غَيّب سلطة العقل فيه ما دام المقصد العام المحرّك للمدح هو بلوغ درجة الإقناع، والإقناع لا يكون إلاّ بمخاطبة الخيال والعاطفة[1] .

وليس من شكّ في أنّ لحظة تمكّن الشّاعر من الأخذ بمجامع وجدان الممدوحين تمثّل غايته القصوى سواء بالتّأثير أو الإقناع بما يرومه من خطابه الشّاكي. وتظهر فحولة الشّاعر ههنا من جديد، لأنّه متملّك لآليات الحجاج؛ إذ ظهر لنا على دراية تامّة بالمسلك الفنّي الذي ينتهجه لبسط سيطرته على ممدوحيه. فكثّف من أدواته اللّغوية، فكانت شرطا حينا، وتأكيدا حينا آخر. وركّز خطابه على الأفعال اللّغوية الصّريحة من خلال توظيف فعل الأمر تارة، والفعل التّقريري تارة أخرى، بل إنّه يسترفد من المجال البلاغي ما يحقّق غايته. فيعمد إلى الممدوح تشبيها بما ترضاه نفسه من قيم دينيّة خاصّة. وأنّى أدرك جرير ذوبان الممدوح وتماهيه مع جوّ المدحة يُدير دفّة القول إلى الشّكوى مدار القول وأمّ القضايا، « فانتفاخ »[2] الممدوح بعبارة ريجيس بلاشير بما خصّه له من صفات تجعله مستسلما لمقاصد الشّاعر، مقتنعا بخطابه وذلك في تقديرنا جوهر العمليّة الحجاجيّة المشكّلة للخطاب الشّاكي في مدائح جرير.

(1) انظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص15.
(2) انظر ريجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي، تعريب إبراهيم الكيلاني، القسم الأوّل، ص473.

بيبليوغرافيا :

- شرح ديوان جرير، شرحه وقدّم له مجيد طرّاد، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2003.

المراجع باللّسان العربي

- ابن رشيق (أبو علي الحسن القيرواني)، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1996.
- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسن)، الأغاني، ط1، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، (دت) .
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتّبيين، تحقيق وشرح عبد السّلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (د ت).
- الجمحي (أبو عبد الله محمد بن سلاّم)، طبقات الشّعراء، حقّقه عمر فاروق الطّباع، ط 1، دار الأرقم، بيروت، 1997.
- الخصخوصي (أحمد)، الرّاعي النّميري شاكيا محاجا، العدد55، حوليّات الجامعة التونسيّة، السّنة 2010 .
- الشّهري (عبد الهادي بن ظافر)، آليات الحجاج وأدواته، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، ط1، عالم الكتب الحديث، 2010.
- العبد (محمد)، النّص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع ضمن، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظريّة في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ اسماعيل علوي ط1، عالم الكتب الحديثة ، 2010.
- الغزالي (أبو حامد)، المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد الأشقر، ط1، مؤسّسة الرّسالة، بيروت،1997.
- بلاشير(ريجيس)، تاريخ الأدب العربي، تعريب إبراهيم الكيلاني، الدّار التونسيّة للنّشر، تونس 1986.
- صولة (عبد الله)، في نظريّات الحجاج، دراسات وتطبيقات، ط1، مسكلياني للنّشر والتّوزيع، تونس 2011.

- عليبي (رضى عبد الله)، الغربة والحنين في الشّعر العربي إلى نهاية القرن الأوّل الهجري، بحث مخطوط لنيل شهادة الدّكتوراه بكليّة الآداب منّوبة، تونس، 2015.
- ولد محمد الأمين (محمد سالم)، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوّره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، مجلد 28، عدد 3، مارس 2000.
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم)، الشّعر والشّعراء، دار الثّقافة، بيروت، (د ت)

المراجع باللّسان الفرنسي

- Adam (J.M), A.petit Jean, Le texte descriptif, Nathan 1989.
- chaim (Perelman) Article Argumentation, in Encyclopéadia Universalis, corpus 2, Paris 1990.
- Chaim (Perelman) – Tytéca, Traité de l'argumentation, Presses Universitaires de Lyon 1981.
- Chaim (Perelman), Enyclopéadia Universalis, corpus 2, Edition à Paris 1996.
- Hamon (Philippe), Du descriptif, Hachette, 1993.
- John (r.Searle), Sens et expression, Ed Minuit, 1979.